بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 89 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**
التاريخ:17\09\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

انتهينا قبل التعطيل من الآية الرابعة والعشرين، ووصل الكلام إلى قوله تبارك وتعالى: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصيلا}.

هذا التعبير تكرر في القرآن الكريم في جملة من الآيات:

أولاً: {اسْمَ رَبِّكَ} هذا تكرر في أربع آيات، جاء في سورة الرحمن {تَبارَكَ اسْمُ رَبِّك}[1]، وفي سورة المزمل {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ}[2]، وفي سورة الأعلى {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّك}[3].

وأما الأمر بذكر اسم الله تبارك وتعالى، فهذا ورد في آيتين، في هذه الآية وفي سورة المزمل. نعم ورد في سورة الأعلى في الآية الخامسة عشر هذا التعبير {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}[4].

فهذا التركيب التركيبات المتكررة في القرآن الكريم.

الربط السياقي بين الآيات: ما هي موقعية هذه الآية بين الآيات المتقدمة عليها والمتأخرة عنها؟

كما أشرنا سابقاً أن هذه السورة ابتداء من الآية الثالثة والعشرين بدأت بمقطع جديد، قال الباري تبارك وتعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزيلا}، وعرفنا من هذه الآية نبوة النبي ' حيث إن الله تبارك وتعالى أنزل عليه كتاباً سماوياً، وهذا النبي ' بحاجة في نبوته وفي دعوته وفي إخراجه للناس من الظلمات إلى النور أو فقل في عملية تغيير المجتمع بحاجة إلى مجموعة من العناصر، بحيث إذا لم تتوفر فيه لا يستطيع أن ينجز الرسالة والمهمة الموكولة إليه.

بعد أن بينت هذه الآية إنزال القرآن عليه، فإنزال القرآن عليه ليبلغه للناس، ليقرأه على الناس، ليبشر وينذر به، وهذه العملية تحتاج إلى مجموعة من العناصر:

العنصر الأول: ما جاء في الآية الرابعة والعشرين {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} هذا النبي ' في نبوته وفي وظيفته بحاجة إلى صبر، وهي عامل داخلي في الإنسان، ونقطة قوة في داخل الإنسان، وهي القدرة على التحمل.

---

[1] الرحمن: ١
[2] المزمل: ٨.
[3] الأعلى: ١.
[4] الأعلى: ١٥.

لأنك سوف تكذب، سوف تواجه من قبل أصحاب المصالح، سوف يقوم وجهك المترفون في المجتمع. فإذا لم يكن عندك قدرة على التحمل تفشل في أول أدائك لوظيفتك ومهامك.

فيحتاج إلى هذا العنصر، إلى قدرة على التحمل. ولذا في تفسير هذه الآية -ذكرنا سابقاً- قلنا المقصود من قوله {لِحُكْمِ رَبِّكَ} ليس مجرد الأحكام الشرعية، ولا مجرد القضاء، ولا مجرد الحرب، بل المقصود من حكم ربك أعم من كل ذلك.

العنصر الأساس في دعوة الأنبياء ^ هي أن يكون عندهم قدرة على التحدي.

العنصر الثاني: وهو الذي يترتب على هذا العنصر. الإنسان الضعيف الشخصية، والذي قدرة له على التحمل، قد يتملق لهذا وذاك. أما النبي ' عنده قدرة على التحمل، {وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً} فجاء النهي، لا يتجه باتجاه هذا ولا باتجاه ذاك، معك الله تبارك وتعالى.

إذاً يحتاج أولاً القدرة على التحمل، وثانياً أن الصبر لا يعني المهادنة للكفار ولا يعني الميل نحوهم، فالصبر شيء والتملق شيء آخر، فيصبر وفي الوقت نفسه {وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً}.

العنصر الثالث: هو ما جاء في هذه الآية التي قرأناها، والتي هي محل البحث بعد أن قال {وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً}، قال: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصيلا}.

هذا النبي ' المصلح يريد أن يغير المجتمع، والذي يريد أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، دائماً بحاجة إلى ذكر؛ لأن هذه الوظيفة وظيفة النخب، وظيفة القادة، وظيفة أصحاب المقامات. هذه إذا لم يكن صاحبها متذكراً لربه قد تزل قدمه.

فكما تحتاج إلى قدرة على التحمل، وتحتاج إلى مواجهة للآثم والكفور، فهي تحتاج دائماً إلى عملية مراقبة، وأن تكون ذاكراً لله تبارك وتعالى وذاكراً بكرة وأصيلاً.

فإذاً نلاحظ أن هذه الآية التي نحن بصدد البحث عنها ما زالت في سياق واحد، وما زلنا في سياق واحد، فيريد أن يبين له ويعطيه التعاليم التي يحتاج أن يتحلى بها حتى يستطيع القيام بوظيفته.

باعتبار أن النبي -أي نبي كان- يصنع على عين الله تبارك وتعالى، وفي صناعته على عينه يعطيه هذه التعاليم، عندما نزلنا عليك القرآن تنزيلاً، وتريد بواسطة هذا القرآن أن تخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتغير المجتمع من مجتمع جاهلي إلى مجتمع توحيدي، فأنت بحاجة إلى هذه العناصر، وهي عناصر القوة، وهي القدرة على التحمل وعدم التملق للآثم والكفور وأن تكون ذاكراً لربك تبارك في كل أحوالك بكرة وأصيلاً.

العنصر الرابع: والتي تتابعه الآيات، فيقول في الآية السادسة والعشرين التي سوف تأتي {وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ} التي تدل على الخضوع، فالنبي ' صاحب قلب خاضع خاشع متذلل؛ لأنه منه يستمد القوة.

العنصر الخامس: {وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً} تنزيه الخالق، فصاحب الدعوة لابد أن ينزه الخالق تنزيهاً كاملاً حتى لا تتلوث رسالة التوحيد، تنزهه عن كل الشوائب؛ ليتعلم المجتمع منك.

هذه هي العناصر الخمسة التي يحتاج إليها النبي '.

فإذاً نحن ما زلنا نتكلم في سياق واحد.

أما إذا أردنا أن ندخل تفصيلاً في شرح هذه الآية، يطالعنا في بداية هذه الآية الأمر بالذكر، الواو واضحة، فبعد أن بينا وحدة السياق، فلا شك أنه يصح العطف ويكون هذا من عطف الجمل {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} هذه جملة، {وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً} هذه جملة، {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصيلا} هذه جملة أخرى.

فلما كان بين الجمل الانسجام الواضح صح العطف بالواو.

يطالعنا في بداية الجملة الأمر بالفكر، وهذا الذي ينبغي أن نقف عنده قليلاً، فما المقصود من الذكر في الاستعمال القرآني؟